من النقود إلى البيانات

في صياغة سلسة وشيقة، خرج كتاب إعادة تصميم الرأسمالية في عصر البيانات الضخمة ليصبح واحدا من بضعة كتب ذات منظور مستقبلي تأخذ مفاهيم الاقتصاد الأساسية على محمل الجد. ولا يظهر الحائزون على جائزة نوبل من أمثال فريدريتش هايك وألفين روث في الكتاب ظهورا مقتضبا فحسب، بل إن رؤاهم توجه حجج الكتاب. ويزعم المؤلفان فيكتور مايـر–شونبرغر وتوماس رامج أن صعود شأن البيانات يعني تراجع شأن النقود، وأن النمو الاقتصادي المجد يعتمد بشكل كبير للغاية على الابتكار في مجال البيانات، وأن تنظيم المنافسة في السوق يتطلب إعادة التفكير في إمكانية الحصول على البيانات.

والبيانات ليست النفط الجديد ولكنها شكل من أشكال رأس المال إلى حد كبير مثل رأس المال البشري والاجتماعي والفكري. ويرى المؤلفان أن البيانات ستصبح المبدأ التنظيمي المهيمن لخلق الثروة. وتتطور الأسواق إلى منصات تتيح أنواعا جديدة قيّمة من المنتجات والخدمات والخبرات. فالتكنولوجيا المالية تفوق التمويل التقليدي. وإشارات السوق الكلاسيكية مثل السعر آخذة في الانحدار لتصبح مفارقة تاريخية.

ويشيران في كتابهما «لم يعد المشاركون في الأسواق التي لديها بيانات وافية يستخدمون السعر على أنه الناقل الأولي للمعلومات ... وستختفي إحدى المهام الأساسية التي كانت تؤديها النقود في الأسواق.» فدور النقود سيتراجع إلى درجة إلى «أنه بدلا من مساواة الأسواق بالنقود والاقتصاد بالرأسمالية المالية حيث تسود قواعد النقود، سيكون من المفهوم أن الأسواق ترتفع بسبب تدفقات البيانات الوافية (لا النقود). وستكون الرأسمالية المالية قديمة مثل حركة «قوة الزهور» التي عفا عليها الزمن.»

وتسرّع البيانات الضخمة التدمير الإبداعي للرأسمالية كما نعرفها الآن. ومع وصول أحجام البيانات إلى البيتابايت واستمرار زيادة قوة تجهيز البيانات بشكل مطرد، فإن البحوث التي ستؤدي إلى الحصول على جائزة نوبل ستُلهم الاضطرابات. وعلى سبيل المثال، لا محالة من أن انخفاض تكاليف المعاملات والتنسيق – وهي رؤية رونالد كواس لاقتصاد المشروعات — سيؤدي إلى أشكال تنظيمية جديدة. وستؤدي عمليات المطابقة التي تتعلمها الآلات والخوارزميات التي تقدم توصيات والمتضمنة لأفكار ألفين روث حول تصميم الأسواق إلى نتائج أفضل بشأن الاستثمار والاستهلاك. وكذلك ستتم إدارة القيود البشرية المشار إليها في مفهوم «العقلانية المقيدة» الذي وضعه هيربيرت سيمون والاقتصاد السلوكي لدانيل كاهينمان بخوارزميات عن طريق روبوتات تحاكي تصرفات البشر.

وبعبارة أخرى، ينبغي أن تؤدي البيانات الوافية إلى مجتمعات أغنى — وأكثر كفاءة. ورؤية المؤلفان متفائلة أكثر من كونها تحذيرية، فهذا الكتاب لا يدعو إلى الاكتئاب.

وللتأكيد، فإن مايـر–شونبرغر ورامج ليسا من المتفائلين بشكل مفرط. فاقتراحاتهما بتنظيم احتكار القلة للبيانات تدعو للتفكير. فكيف يمكن تقاسم البيانات لتحفيز المزيد من المنافسة والابتكار وريادة الأعمال؟ وهل يمكن وضع هيكل لزيادة الشفافية من أجل تيسير قدر أكبر من المساءلة؟ وستجد شركات العالم المماثلة لأمازون وغوغل نفسها تكافح للإجابة على هذه الأسئلة. وإذا لم تستطع، من المؤكد أن جهات التنظيم والتشريع ستقوم بذلك.

وبناء على ما تقدم، يدعو الكتاب إلى الحوكمة لا الحكومة. وبالفعل، يحتفي المؤلفان بالأسواق. ويقولان «إذا ألغيت السوق اللامركزية ستختفي الجودة التمكينية للبيانات.» ويضيفان «لهذا السبب فإننا نشير إلى الانتقال من البيانات إلى النقود على أنه تنشيط للسوق وليس ظهور الذكاء الاصطناعي أو البيانات الضخمة.»

وموطن الضعف الوحيد لهذا الكتاب هو التحيز الذي يتسم بالغرور للغرب. ولا تحظى العلوم الصينية والهندية والأفريقية إلا بإشارة سطحية. فالصدامات العالمية الممكنة — والمحتملة — للثقافة الاقتصادية والتجارية للبيانات الضخمة لم تُكتشف. وتقوض هذه الإغفالات تفاؤل المؤلفين وتخدعان القارئ الجاد. فإذا كانت الثروة والنمو ومستويات المعيشة في المستقبل ستعتمد على علم البيانات، فإنها ستكون بالتأكيد مصدرا للتنافس والمنافسة مثل التعاون والتجارة. FD

فيكتور مايـر–شونبرغر وتوماس رامج

إعادة تصميم الرأسمالية في عصر البيانات الضخمة

Viktor Mayer-Schönberger and Thomas Ramge

Reinventing Capitalism in the Age of Big Data

Basic Books,
New York, 2018, 288 pp., $28

مايكل شارج، زميل باحث، مبادرة الاقتصاد الرقمي، كلية سلوان بمعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا.